رسائل لم تصل

رشا السيد

وحي القلم

رسائل لم تصل

رشا السيد

غلاف خارجي: تهاني فهد

داخلي وتنسيق: رحاب جمال

تدقيق لغوي: صفاء عبدالوهاب

فريق عمل جروب وحي القلم

https://www.facebook.com/groups/wahy.alqalam/?ref=share_group_link

الرسالة الأولى

صديقي الصدوق وصاحبي الصحوب

سلام الله عليك يا رفيق ورحمته

كيف حالك توأمي؟ اشتقت إليك يا شق روحي، بالطبع لن أخبرك بقلبي الذي يحترق شوقًا وقهرًا برؤيتك وتلك الأساور الحديدية تقيد يديك ولا بأدمعي التى لم تجف لحظة تجود بها مقلتي دون شح، ستخبرك أوراق الرسالة المبللة بتلك القطرات التى تنهال عليها رجاءً وتوسلًا لله أن تصل إليك تلك الكلمات وأن ترد بمثلها تطمئن ذاك الفؤاد الملتاع قلقًا على روحه المسجونة خلف تلك القضبان الحديدية اللعينة وجل جرمه أنه رجل!!

رجل أبِيٌّ أبَى أن يرى عرض فتاة ينتهك من قبل

وحش بهيئة بشري داخل سيارته الحديثة الفارهة!!

رجل دافع عن الفتاة وحاول منع ذاك اللئيم من إكمال فعلته الدنيئة وجذبه خارج سيارته، لكن الخبيث أطلق عليه طلقة غادرة من سلاحه الثمين وحين أتى الناس وتجمعوا على صراخ الفتاة وصوت طلقة الرصاص. واستدعوا الشرطة والإسعاف انقلب الجاني إلى مجني عليه وأصبح المعتدي معتدى عليه والفتاة!!

الفتاة مرتعبة مهددة هي وأسرتها من أهل ذاك العربيد إذا تفوهت وشهدت بالحق.

يالا السخرية من عالم زائف مخيف انقلبت به الموازين أصبح فيه الظالم مظلوم والمظلوم!!

أمك ينفطر قلبها لهفة عليك وتكاد تبيض

عيناها بكاءً عليك، أعلم أنك دومًا تخبرنا أن تلك الأعين الجميلة – أعيننا - لا يجب أن تغزوها الدموع أبدًا سوى بالفرح فقط لكن لا حيلة لنا سوى البكاء والدعاء.

لكن يقيننا بالله أنه لن يخذلك أو يخذلنا.

سأنتظر منك رسالة تخرجها لي مع مخبر القسم مع أو اني الطعام الفارغة وثيابك المتسخة.

في أمان الله وحفظه

شق روحك/

توأمك.

الرسالة الثانية

صديقتي الصدوقة وصاحبتي الصحوبة

سلام الله عليك ورحمته وبركاته.

كيف حالك توأمتي؟ اشتقت إليك شق روحي واشتقت أمي.

أعلم أن الابتلاء عظيم عليكما لكن ما بأيدينا من حيلة سوى الصبروالرضا والدعاء.

لا أريدكما أن تقلقا علي أنا بخيرحمدًا لله. الجميع هنا يعاملونني باحترام ورحمة مذ قبض علي بالأمس.

رفقاء الحبس هم الرفق ذاته تغشانا السكينة والأخوة لا فرق بيننا كلنا هنا أسرة واحدة يهون فيها كل فرد على أخيه محنته.

أنام على فراش وثير مستيقظًا على أصوات

البلابل.

أدخل دورة المياه مستمتعًا دون أن يطرق علي أحدهم الباب متعجلًا.

لا كلمة بذيئة تخرج من أفواههم بل ذكر الله يرطب ألسنتهم دون أن تفتر.

آاااااهٍ على من أكذب؟ على نفسي يا مرآة نفسي؟ كل ما كتبته ليس الحقيقة بل هو ضدها.

أريد أن أتنفس هواءً نقيًا دون دخان سجائر محشوة أو سادة كما يطلقون عليها.

أريد باب لا ستارة تسترعور اتي و أنا أقضي حاجتي فيفزعني صياح من آخر يريد الدخول.

أريد سريري فقد كادت أضلعي أن تتهشم ليلة أمس و أنا أنام فى تلك المساحة شبرًا وقبضة على

سيفي "جنبي" على هذى الأرض الصلدة.

لا أريد أن أسمع ذاك السباب والكلمات البذيئة من هؤلاء. أنا لست مجرمًا مثلهم.

أريد أن أخرج من هنا أريد بيتي.

إيييييهٍ....

أعلم أنني يجب أن أطمئنك لا أن أخبرك بهذا البؤس لكنني أعلم أيضًا أنك ستشعرين بكذبي إن كذبت.

هكذا أنت و أنا توأم روح واحدة انقسمت إلى نصفين إذا سكنت غصة بقلب أحدهما تأوه قلب الآخر ولهذا لن أرسل إليك هذه الرسالة وربما أقطعها وأرسل إليك رسالة أخرى تطمئنك علي. يكفيني أن أتحدث برسالتي هذه إليك كما اعتدنا أبوح بما احتل قلبي من هم

وغـم. كأنـك أمـامي وتسـتمعين إلي حتى أخـرج جـل ما بروحي من وجع.

أدعـو الله أن يعيـدني إليـك وإلـى أمـي التـى أجـزم أنهـا الآن تصـلي إلـى ربهـا تناجيـه تتضـرع إليـه أن يردني إليها.

اللهـم اسـتجب لهـا وأخرجنـي مـن هـذا الجـب المظلم إلى نور سمائك.

أستودعكما الله الذى لا تضيع ودائعه.

شق روحك/

توأمك.

الرسالة الثالثة

صديقي الصدوق وصاحبي الصحوب

سلام الله عليك -يا رفيق- ورحمته،

هلا أخبرتني لماذا لم تُخرج إليَّ رسالة تطمئن قلبي الملتاع هذا؟ ألم أخبرك أن تفعل؟

المخبر بالقسم يخبرني أنك بخير، لكنني أقسم لك لو أن هذا العالم بأسره قال ما قال كي يهدئ من روعي عليك لن يعرف قلبي للطمأنينة طريق سوى برؤيتك.

أتبخل عليَّ ببضع كلمات يا شق الروح والقلب؟ أم أنك....

لا لا أريد أن أتخيل الأمر؛ أنت بخير.

هكذا يجب أن تكون من أجلي ومن أجل أمِّنا.

يبدو أنك لم تستطع أن ترسل رسالة كاذبة كرسالتي إليك.

فأنا لم أستطع إرسال رسالتي السابقة إليك. وكيف أرسلها و أنا أعلم أنها ستزيد وجعك أوجاعًا ؟!

كيف أخبرك أن أمَّنا بعد ما سمعت بما حدث سقطت أرضًا مغشيًا عليها، وأوصاها الطبيب بالراحة والهدوء؟!

ومن يهدئ قلبها الملتاع على فلذة كبدها خاصة بعدما جاء هذا العربيد أبو العربيد ؛ كي يهددنا.

إما أن تعترف بأنك من فعل تلك الفعلة الخسيسة بالفتاة و أنت تحت تأثير المخدرات، وحينما منعك ولده اعتديت عليه فأخرج سلاحه المرخص يدافع عن نفسه مهددًا إياك

ملوحًا به فقط!!

لكنك أنت من انقضضت عليه فخرجت تلك الطلقة اللعينة فأصابتك بكتفك.

هكذا هددنا قائلًا:

"سيدبر لنا زيارة لك؛ كي نقنعك بذلك!! و أنه سيوكل لك محاميًا يستغل إحدى الثغرات بالقضية، ومنها سيحكم عليك بسنوات قليلة وتخرج تستمع بما سيدفعه إلينا من أموال طائلة مقابل سنوات عمرك التي ستقضيها خلف تلك القضبان اللعينة!!"

أي عقل شيطاني هذا!! بل أي قلب بشري الذي فقد الرحمة بأم مزق الحزن نياط قلبها؟!

أنت أنت التقي ذو الخلق، ذو الشهامة والنخوة يرميك بتلك التهمة الشنعاء!!

متعاطٍ للمخدرات مغتصب!!

هل أصبح ذو الحمية والتقوى متهمًا بالجرم المشهود؟

والفاسد المجاهر بسوءاته يرتع فى الأرض يعيث فيها فسادًا و إفسادًا، يُشار إليه بالبنان، ذو الشجاعة النبيل؟!

ازدادت أمُّنا تعبًا فوق تعبها؛ بعدما هددنا ذلك الفاسق عندما أبيْنا هذا العرض الغبي بأنك فى جميع الأحوال ستلبسك التهمة بل وسيزداد الحكم....

يا أللّه!! يا ربِّ يوسف، كما أخرجته من ظلمات السجن إلى فجر أرضك، أخرج رفيق الرحم والقلب.

أستودعتك الله الرحيم الذى لا تضيع ودائعه

ولا تنفد رحمته.

شق روحك/

توأمتك.

الرسالة الرابعة

صديقتي الصدوقة وصاحبتي الصحوبة

كيف حالكِ وحال أمي ؟

اشتقتكما حد السماء.

اليوم كان يومًا عصيبًا على قلبي و أنا أراكِ أمام مكتب وكيل النيابة قبل أن يتم عرضي عليه، تتحايلين على أحد العساكر؛ كي تتحدثين إليَّ !!

بغضْتُ نفسي ووددتُ لو صحتُ بكِ وبه.

كرهتُ أن أراكِ تتذللين لأحدهم ؛ كي يتعطف عليكِ -و أنتِ العزيزة المكرمة بقلبي- لكنني كنتُ أفتقدكِ وأعلم أنكِ أيضًا كذلك، وخفتُ أن أكسر قلبكِ.

ربما رؤياكِ وحديثكِ معي قد أنساني بعض همي حتى وإن كذبتُ عليكِ!!

أجل، قد كذبتُ عليكِ وأخبرتكِ أنني بخيرو أنا لست بخير، أخبرتكِ أنني مرتاح بزنزانتي وصُحبتي ، و أنا يضيق بي المكان كقبرموحش يخنق قلبي، أشعربالغربة والخوف ممن حولي فأنا لست منهم ولا معتادًا على هذا القهر، أخبرتكِ أنني متفائل ومفعم بالأمل و أنا قد سكن اليأس روحي خاصة....

خاصة بعدما حدث بالأمس حينما أتى محامي ذلك الفاسق يخبرني أن أبدل أقوالي بمحضر النيابة على أن يعمل هو على تخفيف الحكم مقابل مال وفيرينتظرني بعدما أخرج من السجن بعد بضعة أعوام قليلة.

يتحدث ويكأن تلك الأعوام القليلة ليست من أعمارنا، ويكأن كل يوم يمضي من حياتنا لا يقرب أجلنا.

هو محق!! بالفعل هو محق.

هــو لــم يقــضِ بتلــك الزنزانــة اللعينــة ســاعة واحــدة ولا يعلــم أن اليــوم الواحــد بــداخلها كأنــه عام كامل!!

لــم يضــطر أن تكــون صــحبته أولئــك المــدمنين والقتلة والسارقين.

أو ربمــا صــحبته كــذلك بالفعــل ولكــنهم ممــن يلتحفــون ويتــوارون بــرداء الطهــارة وفعــل الخيـرات، رجــال الأعمــال أصـحاب المقــام العلـيّ ذوو النفوذ والمعارف!!

بخ بخ... يـا لـكِ مـن فتـاة !! تكـذبين عليَّ كمـا أكـذب عليـكِ!! أجـل لقـد رأيـتُ ذلـك فى عينيـكِ حالمـا سألتكِ عن أمي وعن أصحابي.

قلتِ أن أمي بخير، و أنا أعلم أنها إن كانت كذلك

ما كانت لتترك فرصة لتراني ولا تأتي إليَّ!!

قلبي يعتصر ألمًا وخوفًا عليها، لكن لا حيلة لدي.

يا لكِ من كاذبة فاشلة!! ويا لي من مقيد الروح بسلاسل فولاذية محمومة!!

ليت شعري! كيف أنجو من هذا الجب السحيق؟!

"ربِّ إني لما أنزلت إلي من خير فقير".

أدعو الله أن يظهر الحق ويزهق الباطل وأهله، ويجمعني بكِ وأمي خارج تلك الأبواب الحديدية والأسوار المقيتة.

شق روحك/

توأمكِ.

الرسالة الخامسة

صديقي الصدوق، وصاحبي الصحوب.

سلام الله عليك ولطفه بقلبك وقلوبنا.

كيف حالك أخي وسندي؟ اشتقت إليك توأمي، نعم.. قد رأيتك اليوم، ولكن هل تعوض تلك الدقائق المعدودات شوق أيام مضت كسنوات؟!

هل تعوض دقائق الكذب والمواساة ساعات فضفضة ومزاح و إيناس سُرِقت؟!

أجل دقائق كذب، قد كذبت عليك على غير عادتي معك، لم أستطع.. صدقني لم أستطع!!

وكيف أصدقك بمرض أمنا قهرًا وخوفًا عليك؟!

كيف أصدقك بسؤال أصدقاؤك وجير اننا دومًا عنك؟!

أجـل.. فكمـا يقولـون المحـن كاشـفة، كشـفت كـل من ادعى الصداقة زورًا، والصداقة براء منه.

كشـفت كل جـاركان يبتسـم في وجهنـا يتـودد إلينـا، والآن يلوك في سيرتك وسيرتنا.

تلـك هـي القلـوب وتلـك هـي النـوازل الفاضـحة لمضغة الشربها.

قليـل هـم مـن صـدقت سـر ائرهم و أفعـالهم، قليـل هـم مـن زادوا عنـك وردوا غيبتـك، مـن سـاندونا وكـذبوا تلـك الأقاويـل الباليـة، مـن يتفقـدوا أمـي ويتفقدوا حالك وحالنا.

الله الله فيمن هرول إلينا في شدتنا ومحنتنا.

خمسـة عشـر يومًـا أخـرى أُضـيفت إلـى غيبتـك عنـا، أخبرني المحـامي هـذا النبـأ، والـذى لـم أعـرف كيف أوصله لأمي وهي بحالها هذا.

فاللهم ارفق بها وبي وبأخي.

ردك الله إلينا سالمًا، معافى، مبرأ من كل افتراء.

شق روحك/

توأمك.

الرسالة السادسة

صديقي الصدوق وصاحبي الصحوب.

سلام الله عليك ولطفه بك وبقلبك.

كيف حالك توأمي؟

سئمت من تكرار كلماتي عن اشتياقي إليك، شهر ونصف قد مضى و أنت خلف تلك الأبواب المصفدة، مرت تلك الأيام بطيئة كالدهر، تنقش وسوم الهم والكدر على جدار القلب.

البيت أصبح من دونك كالقبر، كالقبر!! وهل أعرف كيف هو القبر؟! تعلم.. كم أرتعب دومًا من ذكر اسمه، أخاف وحشته وظلمته، حسنًا دعنا من ذكره الآن، يكفينا ما بنا من ضيق وهم ورعب.

سأخبرك شيئًا لا أستطيع أبدًا إخبارك به في

تلك الدقائق المعدودة المسماة "زيارة"!!

البيت بغيبتك أصبح موحشًا كئيبًا، كل شيء به يفتقدك، يفتقد مشاكساتنا وضحكاتنا، شجارنا وصراخ أمي فينا حينما تفقد أعصابها من نزاعاتنا المستمرة بالمزاح أو الغضب.

ويحك يا هذا! حتى قفاي يفتقد باطن كف يدك الذي يهبط عليه على حين غرة كالمطرقة.

حقًا لا أعلم هذا السر الخفي خلف تلك المتعة البادية على وجهك جراء فعلتك الدنيئة هذه بقفاي المسكين الرقيق هذا!!

ليكن سرًا بيننا، "فداؤك قفاي، فليكن سندان لمطرقتك دومًا، فقط عد إلينا"

هل أخبرك سرًا آخر؟ يبدو أن هذه الرسالة مليئة بالأسرار، لا بأس فلنسمها رسالة الأسرار.

أمـي أهلكهـا فر اقـك، لـم يعـد يجـدي معهـا دواء نفعًـا فسـجنك داؤهـا وبراءتـك دواؤهـا، هـلا عـدت لتعد الحياة إليها؟!

يـا لهـذه القبضـة بصـدري، لا تفـارقني مـذ ذهـب هـذا الوغـد الـذى يهـددنا دومًـا، لا أعلـم لِـمَّ هـذه المـرة احتـل الخـوف قلبي وكـذلك قلـب أمـي، فقـد رأيـت الرعـب يسـكن وجهـا بعـدما رأت نظر اتـه المتوعدة قبل أن يمضي اللهم بلا عودة.

فـاللهم كمـا قـررت عينـا أم موسـى برجعتـه إليهـا، قرعين أمي وعيني برجعة غائبنا.

اللهم ولا غائبًا إلا رددته.

شق روحك/

توأمتك.

الرسالة السابعة

صديقتي الصدوقة وصاحبتي الصحوبة.

سلام الله عليكِ وعلى قلبك شقي الآخر.

كيف حالك وحال أمنا؟ لم أكن أتخيل كم هو مضني البعد والفراق!!

شوق وقهر وقلة حيلة، لحظة واحدة مباغتة تتحول فيها حياتنا وتنقلب رأسًا على عقب.

ترى هل أخطأت حين أنقذت هذى الفتاة من براثن ذاك المعتدي المغتصب؟!

هل كنت أتركها تصرخ وتستنجد بأحد ينجيها من بين يديه متصنعًا الصمم؟!

لا والله لم أكن لأفعلها حتى لو كان موتي هو الثمن، لكنني لم أكن أعلم أن ذاك الثمن أكثر صعوبة من الموت!!

أن يُفرض عليك القعود بمكان يضيق بك ويضيق به قلبك، أن تفرض عليك صحبة لم تختارها ولم تكن يومًا لتختارها بل كنت لتنفر منها وتبتعد عنها أميالًا، أن تنسى كيف هو شكل السماء والشمس والسحاب والمطر، أن تُنفى عن أهلك ولا يحق لك أن تراهم سوى دقائق محسوبة عليك، أن تأكل وتشرب بأوانٍ بلاستيكية كطفل قد يؤذي نفسه دون فهم، أن تنام ملاصقًا لزميلك لا تتقلب سوى بعد ساعة حين يتقلب الجميع في نومهم، فلا مساحة لك لتفعل ما يريح بدنك، أن وأن وأن ولا تنتهي تلك الأن أبدًا.

هل خلق الإنسان إلا حرًا؟! كيف يتم سجنه؟!

آه من تلك الليلة ومن توابعها، كيف يتحول الإنسان من منقذ شهم همام شهدت تلك

الفتاة ببراءته في محضر الشرطة والجميع كان يفخر به بالمشفى أثناء إصابته حتى أن الضابط الذى أخذ شهادته بالمشفى قد أخبره بذلك "حمدًا لله، إصابتك ليست شديدة، ستذهب من المشفى إلى النيابة لتدلي بشهادتك مرة أخرى وتعود لبيتك تكمل علاجك".

كيف تحول كل هذا إلى ضده؟ كيف تحولت شهادة الفتاة بالنيابة إلى طلب المصالحة مع المعتدي عليها؟ نعم قد رأيت الهلع باد في عينيها الزائغتان وارتجاف جسدها وشحوب وجهها، لم تكن كذلك وحدها بل والديها كانا مثلها.

خافوا من مجتمع مريض يلوم الضحية ويلوك في عرضها وسيرتها ويدعي هي من أرغمت الذئب على افتراسها، ويكأن الله لم ينبئهم بقصة يوسف نبيه!

ألم تدعه امرأة العزيز بجل فتنتها مهيأة له سبل الغي والإغواء؟! لكنه أبى واستغاث بربه، لم يقل أنا ضحية فتنة، أنا ضعيف وهم ذوو قوة.

هيهات هيهات بين سهام تقذف بها ألسنتهم فتاة بريئة، وأعذارواهية تخلق لشيطان طامع متجبر.

خافوا من أولوا قوة ونفوذ يظنون أنهم مالكوا الكون وملوكه، هم السادة ونحن عبيدهم، هم يطغون ونحن نستسلم، هم يعلون ونحن نطأطئ.

هم اعتادوا الفساد ونحن اعتدنا الشرف والعزة والكرامة والإباء.

رفضت أنا ذلك الهوان والوهن وأصررت على أقوالي ودفاعي عن حقها،

تبدلت كلماتها إلى اتهامي أنا بمحاولة اغتصابها!!

رأيت نظرات الأسف والانكسار والذنب بأعينهم والخزي والخذلان يحني رؤوسهم.

بالفعل غضبت منهم، لم أكن أفهم وقتها ما مروا به، لكنني الآن أفهم لماذا استسلموا، حتى أنهم تركوا بيتهم وفروا لدار أخرى علهم يحظوا ببعض الأمن دون تهديد من غاصب معتد.

يالي من تائه، نسيت أن أخبرك أنه سيتم ترحيلي غدًا من قسم الشرطة إلى السجن.

فاللهم رحيل من كل سجن إلى حضن أم يسع ويتسع لأبنائها دون تفريق أو فراق.

شق روحك/

توأمك.

الرسالة الثامنة

صديقتي الصدوقة وصاحبتي الصحوبة

أنا مرتعب. تكاد أضلعي تتهشم من دقات قلبي الفزع، أحد زملائي من عتاة الإجرام والقتل بهذه الزنزانة اللعينة جاءني بالأمس يخبرني أن ذاك الفاسق أبا العربيد أرسل لي رسالة شفهية على لسانه:

"إذا لم تبدل شهادتك في المحكمة فمصير أختك هو ما كاد يصيب تلك الفتاة لولا أن أنقذتها بل سيؤول حالها إلى ما هو أشد وأهول، أختك بين أيدينا ولن نفلتها إلا بعد تغيير أقوالك بجلسة الغد".

هذا الفاسد يبدو أنه ملَّ التحايل والتودد وآن لديه أوان الترهيب والترويع.

عقلي مشدوه غير مصدق يكاد يجن، هل بالفعل أنتِ بين أيدي هؤلاء السفلة أم أنه مجرد تهديد بعد ترغيب لم يُجدِ؟!

تلك الملابس البيضاء تصبغت بالأحمر بعدما طرقت رأسي بالحائط صارخًا فشجت.

وهل لعقل أن يصدق أنك تلك الياسمينة الرقيقة تنزع من بستانها البديع وتغرس بحظيرة خنازير؟!

هل يعرف الخنزير معنى للبياض والنقاء ؟ هل يفهم؟

هل لروثه أن يكون تربة تمد تلك الياسمينة بخيرها أم يكون مدنسًا لها سُمًّا قاتلًا ؟

آاااااه من قهر وظلم يمزق نياط القلب ليحني الرأس.

لــو أن لـي برؤيتــك الآن فقــط لأطمــئن أنــك بخيـر و أنك لست رهينة لأولئك الفجرة!!

أو حتى سماع صوتك تُكذِّبين ادعاءهم هذا!!

آاااه مـن قلـة الحيلـة والهـوان، مـن بـؤس قـابع في النفس قاتلها.

اللهــم يــا مــن رددت إلـى يعقــوب بصــره بقمــيص يوسف رد إلي روحي بخبر من شقها.

شق روحك/

توأمك.

الرسالة التاسعة

صديقتي الصدوقة وصاحبتي الصحوبة

سلام الله عليك وحفظه وأمنه

اليوم كانت جلسة المحاكمة. وقفت داخل ذلك القفص الحديدي البغيض أبحث عنك بين الوجوه الحاضرة بعينيَّ اللتين أرهقهما البحث حتى أصابني الدوارلم أبالِ بالمحامي الذى كان يحاول طمأنتي على موقفي فى القضية لم أنتبه لكلمة منه.

لم استفق سوى على صوت ذلك الفاسد محامي الفاسق قائلًا -بهمس يخرج من فمه كفحيح الأفعى من بين أسياخ الحديد-:

"لا تتعب نفسك بالبحث عنها هي بمكان آمن".

ثم أراني شاشة هاتفه المحمول عارضًا صورتك

و أنـتِ مقيـدة ملقـاة بـأرض إحـدى الغـرف مغيبـة عــن الو اقــع أوربمــا نائمــة لا أعلــم، اختنقــت الكلمــات بحلقــي وشخصــت عينــاي، مــا هــذه الصخرة التى اخترقـت جـوفي فتشـبثت بـه مانعـة الهواء عن صدري؟!

فقـط دمعـات حـارة سـقطت تفـيض عوضًـا عـن مائة حديث من القهر.

أكمل حديثه هذا الفاسد مستطردًا:

"سـتظل آمنـة سـالمة بمكـان آمِـن حتى يـتم النطـق بـالحكم فقـط لنتأكـد أنـك لـن تغيرشـهادتك مـرة أخـرى بعـد أن تقـول مـا نريـده اليـوم وإلا فأنـت مـن تحدد مصيرها"

هكـذا بكـل بسـاطة قالهـا ويكأنـه لا يهـدد بعـرض فتاة طاهرة أن ينتهك!!

تائه مشدوه منذهل هكذا كان حالي من هول ما حدث.

حينما أخبرني ذاك الشقي زميلي بالزنزانة برسالة هذا المجرم وتهديده لي بخطفك كدت أجن لكنني لم أفقد الأمل بأن هذا جله تهديد واهٍ ؛ ولذلك أرسلت رسالة شفهية مع زميل آخر لي بالسجن كان لديه زيارة، أخبرته أن يطلب من أهله مهاتفة صديقي الذى أخبرتني قبلًا أنه لا ينفك يهتم بكما أنتِ وأمي.

يبلغونه بتهديد هذا الخنزيروبطلبي منه أن يطمئن عليكما.

"تأجيل للجلسة القادمة للنطق بالحكم".

هكذا قال القاضي!!

أي تأجيل وأي حكم. لماذا يؤجل؟

لا يهمني أي حكم.

قد بدلت أقوالي وهذا كما يقولون اعتراف.

أوليس الاعتراف سيد الأدلة؟!

فلماذا التأجيل إذن؟ لا يهمني الحكم سواء كان مؤبد أو إعدام أو أي حكم لا يهم.

ما يهمني فقط أن أراكِ بعيني وأطمئن عليكِ.

رباه أنت الرحيم بنا فالطف بقلوبنا ورد أختي إلى صدر أمي فأنت أعلم بحالنا وضعفنا وقلة حيلتنا.

شق روحك/

توأمك.

الرسالة العاشرة

صديقتي الصدوقة وصاحبتي الصحوبة

سلام الله عليك وحفظه وأمنه.

اليوم موعد زيارتك لي... إيهٍ يا لبؤسي وقهري!

أنتظر بلهفة سماع اسمي من فيه السجان مناديًا:

"لديك زيارة".

رغم رسالة ذلك الخنزير مؤكدًا:

"أختك فى الحفظ والصون إلى أن ينطق القاضي بحكمه، مسافة الطريق وتكون ببيتها".

ومن سيزورني سواك؟! أتظنينني صدقت كذبتك أن أمي بخيروأنها فقط لا تقوى على رؤيتي بثياب السجن هذه وتلك الأصفاد

الحديدية تقيدني؟!

أمي لا يمنعها عني سوى ال...!!

لا لن أذكره.

ليت شعري كيف أنفض هذه الفكرة من رأسي، لا يحتمل قلبي مجرد افتراضها لكن هيهات.. و أنا أكاد أجزم أنها قد سقطت صريعة للموت بمجرد اختفائك، وكيف تحتمل جُلَّ هذه المآسي؟! فإن تحملت سجني ظلمًا والافتراء عليَّ فكيف تحتمل اختطافك من قبل وحوش ضارية؟!

يا إلهي كيف أنجو من يم الغم والهم هذا وقد قذفت بي أمواجه في دوامة لا قاع لها؟!

إلهي! كاد عقلي أن يجن! فزع يحتل روحي على أختي ذات قلب العصفورة وهي بين براثن ضباع خبيثة، وقلق على أمي يقتات على بقايا

فتـــات صـــبري، زيـــارة!! هكـــذا ســـمعت الســـجان ينـــادي اســـمي ســـابقًا لتلـــك الكلمـــة "زيـــارة!!" هـــل أصابتني لوثة؟! أم ما سمعته حقًا؟!

كيـــف ذلـــك هـــل تركـــوك؟ هـــل أتيـــت لزيـــارتي بالفعل؟ أم أن أمي ...؟؟؟

يـــا ربِّ الـــرحيم، رحمتـــك ولطفـــك بعقلي وبقلبي .... ســـأنهي هـــذه الرســـالة الآن كي أســـتعد للخـــروج إلى الزيـــارة قبـــل أن يـــأتي الســـجان لاصـــطحابي ويلقـــي قصائد التوبيخ عليَّ.

أرجـــو مـــن الله أن تكـــون زيـــارة تطمـــئن قلبي الملتـــاع - هـــذا- لرؤيتـــك بعينيَّ اللتـــين اكتحلتـــا بهـــالات الحـــزن والأسى.

شق روحك/

توأمك.

الرسالة الحادية عشر

صديقي الصدوق وصاحبي الصحوب

سلام الله عليك وأمنه ونجاته

هذا ما أرجوه لي ولك.

أخيرًا قد فُك قيد يديَّ واستطعت استخراج مذكرتي والقلم من حقيبة يدي بعد أن انتشل منها هذا المرتزق هاتفي المحمول.

يا إلهي كيف أصف لك ما بقلبي من لوعة ورعب؟!

مرتعبة أنا من هؤلاء الديوثين ونظراتهم وعباراتهم الخبيثة مثل أنفسهم.

كيف أصف لك ذاك الرهاب الذى أصابني حينما وجدت نفسي محاطة بين يدي ذئب يجذبني كاتمًا صوتي وآخر يفتح باب السيارة

لـذاك الـذئب يـدفعني بـداخلها يقيـدني يعصـب عينيَّ، يخرس فمي بهذا الشريط اللاصق.

جُـل الأفكار السـوداء تـدافعت بعقلي حتى أصـابته بالتجمد.

دقـات قلبي كـادت تفجـر صـدري؛ هلعًـا، وبـرودة اجتاحت جسدي.

بـاءت محاولـة فـك قيـدي والفـرار بالفشـل حتى استيأس عقلي وخارت قواي ونفذت حيلتي.

تهلـيلهم فـرحين بنجـاحهم فـى اختطـافي وبثنـاء منتظـر مـن صـاحب عملهـم ورضـاه عـنهم أفـاقتني من يأسي وهلعي.

"مرحبًـا بـك أيتهـا العـروس فى غرفتـك الجديـدة" قالهـا ذلـك الـديوث ملقيًـا إيـاي أرضًـا قبـل أن يزيـل عن عينيَّ تلك العصابة؛ لأرى وجهه البغيض

ذاك الذى لن أنساه طيلة عمري حتى ألقى ربي.

تركني ورحل صافعًا باب هذا القبو الذي يسميه غرفة دون أن يجيب عن أسئلتي من هم؟ ولماذا يختطفونني و أين أنا؟

لم أكن أدري حقًا أذاك قلبي الذى يرتجف يؤازره باقي جسدي؟ أم تلك الكراكيب داخل القبو هي التى تتراقص حولي؟

ساعات مرت كالدهر حتى سمعت أحدهم يفتح الباب بالمفتاح.. انتفض جسدي وجحظت عيناي وفغرفاهي حين رأيته ... إنه ذلك الخسيس أبو الفاسد الفاسق المعتدي على تلك الفتاة!! ومعه شاب يبدو عليه الترف، والفسق جليٌّ فى نظرات عينيه و ابتسامته الخبيثة الماكرة!!

لـــم يجـــب أحـــدهم علـــى ســـؤالي مـــن قبـــل لـــمَ يختطفـــونني؟ ولـــمْ يـــأتِ ببـــالي أن هـــذا الخبيـــث هـــو خاطفي!!

"كيـــف حالـــك؟ أرجـــو ألا يكـــون أحـــدهم قـــد ضايقك وأن تكون ضيافتنا قد أعجبتك"

تفـوه بهـا مـن فمـه السـام -هـذا- وهـو جـالس على كرســيه الــذى أحضــره لــه أحــد الرجــال واضــعًا ســاقًا فــوق ســاقٍ و ابتســامة شــامتة تغشــى وجهــه. شُـلَّ لسـاني وتجمـد عقلي لـم تسـتطع الكلمـات أن تخرج من فمي فاستطرد:

"أنـــتِ وأمـــك وأخـــوك مـــن اضـــطررتموني لـــذلك. لـــولا عنـــادكم لكنـــت ببيتـــك تـــراعين أمـــك الآن ولكـان محـامي يسـاعد أخـاك بـبعض الثغـرات فى القضـية؛ ليحصـل على حكـم مخفـف ربمـا ثـلاث ســنوات أو أقــل ويخــرج؛ ليعــيش بينكمــا هانئًــا

بالمال الذى كنت سأعوضه به لكنكم أنتم من أصررتم وهذا هو جزاء عصيانكم"

حقًا قد طارت الكلمات من عقلي وتبخرت أحقيق ما أنا فيه أم كابوس بشع وسينتهي؟

"ماذا؟ هل أكلت القطة لسانك؟ "

قالها متهكمًا عليَّ... وكيف له أن يشعر بما بقلبي الذي يرتجف من شدة غليان الدم بشرايينه؟! كيف له أن يشعر بأذنيَّ اللتين كادتا أن يصابا بالصمم من شدة طرقات قلبي على صدري حتى كاد يهشمه؟! كيف لظالم متكبر مغتر بقوته أن يشعر بأنين روح من ظلم؟!

أخيرًا تحررت الكلمات من فمي مندفعة:

"أختطفتني مهددًا بي أخي؟ ألا تخاف ربك يا هذا؟ ألا تعي أن هناك يومًا آتيًا لا ريب فيه

للحساب؟".

يا إلهي قد فزعت من صياحه:

"وهل معك صك الجنة والغفران أم تظنين أن الجنة ملك لك؟ أنا أكثر من فعل الخيرات وسأدخل الجنة رغمًا عنك. وسأكررها لك مرة أخرى أنتم من فعلتم ذلك بأنفسكم."

تنهدت علَّني أنفث لهيب ما بقلبي من حريق، لم أعقب، ولم أجد للجدال نفعًا. دفنت رأسي بين ركبتيَّ ولم أرفعها إلا بعد أن سمعت كلمات ذاك العربيد قائلًا:

"دعها لي يا أبي و أنا سأربيها وأجعلها تعرف من هم أسيادها؟ "

شهقة هلع خرجت مني أهذا هو ذاك الفاسق المعتدي؟

أســأكون أنــا الضـحية بعــد أن أرســل الله أخـي؛ لينجي تلك الفتاة منه؟

تحجـرت الأدمـع فى عيني وسـقط قلبي قى قـدمي و أنا أرى أباه يخرج من الباب تاركًا إياي له ...

يـدنو مني.. يـدنو بخطـوات خبيثـة مثلـه وأحـاول الوقوف لكن قيودي تسقطني وتعرقلني.

صـرخة اسـتنجاد انطلقـت مني عـلَّ هنـاك مـن يسمعني فيغيثني وينقذني.

"اعْـلِ مـن صـرخاتك أكثـروأكثـرلـن ينجيـك أحـد مني"

هكذا نطق بها منتشيًا بقذارته.

لـم أجـد مـن أنـادي عليـه سـواه فناديـت بـأعلى صوتي:

"يا رب انجدني"

"سيدي!!"

نداء أحد رجاله قاطعه وهويهم أن يمزق ثيابي كما مزق روحي؛ خوفًا. فأجابه غاضبًا:

"ماذا؟!"

دنا منه الرجل يهمس فى أذنيه يخبره شيئًا، زفر غضبان طاردًا إياه ثم التفت إليَّ ثانية ينظر إليَّ نظرة لم أفهمها ولم أرد حقًا فهمها ولم أعلم بما أخبره ذاك الرجل ولم أهتم.

فقط ارتميت على الأرض بعدما خرج العربيد لاحقًا به صافعًا للباب. وقتها فقط أذنت لنفسي بالبكاء حد النشيج وارتفع صوت شهقاتي يسمع الأصم.

وهل لصم القلوب أن يسمعوا آهات المكلومين؟!

هـــل يســـمعون صـــرخات أم فقـــدت ابنتهـــا بعـــد ابنها؟

تـــرى هـــل يحتمـــل قلبهـــا صـــاعقة تلـــو أخـــرى أم يستسـلم؟ هـل تـاه عقلهـا أم غـاب عـن الـوعي هاربًـا من و اقع صادم مؤلم؟

اللهـم اجعـل لي ولأخي مـن ضـيقنا مخرجًـا واربـط على قلب أمنا وثبت عليها عقلها وردنا إليها.

شق روحك/

توأمك.

الرسالة الثانية عشر

صديقتي الصدوقة وصاحبتي الصحوبة

سلام الله عليك ورحمته ولطفه

أمل اجتاح روحي البائسة جعلها جنة تهيم برياضها، رياح هادئة تنثر عطر أزهارها الفيحاء، لكنه تبدد؛ تبدد كسراب خادع لعاطش قد جف جوفه وتشققت روحه وتصحرت.

خرجت من تلك الزنزانة الخانقة خلف السجان يكاد قلبي يشق صدري مهرولًا يسبقه.

عيناي تبحثا عنكِ بقاعة الزيارة كأب يبحث عن ابنه الضال في الزحام.

لستِ هنا!! تلاشى أملي وتبخر حتى أنني لم ألحظ أختنا الكبرى وولدها وصديقي الشهم الو اقفون بلهفة ينتظرونني.

فقط أفقت على نداءاتهم ....

جريت على أختنا أرتمي في حضنها أعول كطفل مات أبوه توًا وهي أيضًا كانت تنتحب....

"متى جئت من السفر؟"

سألتها بعد أن استفقت على تربيت صديقي على ظهري وسلمت عليه وعلى ابن أختنا الأكبر.

أجابتني بصوت متحشرج:

"منذ أيامٍ فقط، حينما علمت باختطاف أختنا"

لم تستكن أدمعي داخل محجري عينيَّ بل فاضت تغزو وجنتي بخزي يكسر ناظري سألتها:

"وأمي كيف حالها؟ هل حلَّ مكروه بها؟"

هنا وتعالت شهقاتها ونحيبها. وهنا أيضًا قد هوى قلبي تحت قدمي لم أشعر سوى والكلمات تخرج من بين شفتيّ:

"هل ماتت أمنا؟! "

فزعت أختنا وقالت باندفاع:

"لا، وبارك الله في عمرها".

ثم صمتت برهة وببصرزائغ وصوت مختنق خافِت استطردت:

"أمنا راحت في غيبوبة وهي الآن بالعناية الفائقة"

يا ويح قلبي!! أنا بالفعل كنت متوقعًا للأسوأ، لكن علم اليقين بالسوء ليس كظنه!!

هوت قدماي وسقطت أرضًا بعقل تائه وقلب منفطر، أسمع صوت أختنا الكبرى مناديًا باسمي وكذا ولدها لكن أصواتهم كانت بعيدة جدًا عن مسمعي!! ساندني صديقي رافعًا إياي مواسيًا قلبي بكلمات لم أفهم منها حرفًا؛

فقد كنت أهيم في عالم آخر من التيه.

"اثبت أخي؛ لا أريد أن أفقدك أنت أيضًا"

هتفت بها أختنا؛ كي أعود إلى رشدي ولكن هل بقي لدي رشد؟! -لا تريد أن تفقدني أنا أيضًا- وهل تراني ما زلت حيًا بعد؟!

أخذت تحدثني عن متابعتها لقضيتي مع أمي ومعكِ وأنها كانت تريد أن تعود من السفر منذ بدأت الواقعة لولا أنكما منعتماها و أيضًا زوجها بحجة دراسة الأولاد.

حتى أتى يوم ظلت تهاتفك ولا مجيب فهاتفتْ أمي التي أخبرتها -أختك ذهبت منذ الصباح ولم تعد، قلبي مرتعد يغشاه القلق عليها- فانتقل القلق إلى قلبها هي الأخرى ولكنها حاولت طمأنتها؛ كي لا يزداد عليها المرض.

أغلقتْ معها المحادثة وحاولتْ مهاتفتك مرة أخرى لكن دون جدوى. بعد وقت قليل هاتفت أمنا مرة أخرى لكنها لم تجب، ظلت تعيد الاتصال دون رد حتى أجابتها أخت صديقي بنهاية اليوم وأخبرتها بما حدث...

هنا وقص لي صديقي أنني بعدما أرسلت له رسالة مع أهل زميلي السجين ذهب؛ ليطمئن بنفسه فوجد أمي تجلس أرضًا لا تحملها قدماها والجيران حولها أمام باب بيتنا بعويل تنادي باسمِك. حينها تأكد مما أبلغته دخل بينهم حتى يصل إليها وحين رأته قالت بصوت متحشرج من بين شهقاتها:

"فقدتُ صديقك والآن أخته، هلا بحثتَ عنها، يكفيني ما حدث لأخيها"

لم يستطع صديقي التفوه بكلمة.. فقط.

اغرورقت عيناه بالدموع مطأطئًا رأسه وقبل أن تخرج كلمة من فيه سقطت رأسها على كتفها مغشيًا عليها، وحينما ذهب بها إلى المشفى قيل له:

"جلطة أخرى بالمخ أدت إلى غيبوبة"

وأخبر اني بالحقيقة التي كنت تخفينها عني وكنت أشعر بها ....

"أمك بعد القبض عليك لم تحتمل وأصيبت بجلطة بالمخ مما شلَّ حركة النصف الأيسر من جسدها، لكنها كانت تتحسن بالدواء والعلاج الطبيعي حتى حدث ما حدث"

يا للكِ من كاذبة ويا لي من فاقدٍ للحول والقوة.

"هل أبلغتما الشرطة باختطافها؟"

هكذا سألتهما وهكذا كانت نظرات الضعف

والانكسار في أعينهما اللاتي شخصن أرضًا، وصديقي يجيب:

"ذهبنا إلى قسم الشرطة نقدم بلاغًا وكان معنا محاميك فما كان من ضابط الشرطة إلا أن أخبرنا -لا نستطيع القبض عليه ولا التحقيق معه وتفتيش بيته دون دليل-لكن المحامي استطاع إقناعه وبالفعل أرسل إليه وأحضره وبالطبع أنكر كل شيء، وأخبر ضابط الشرطة أن بإمكانه إرسال بعض القوات لتفتيش منزله والبحث عنها، وبالفعل بعد إصرارنا والمحامي ذهبتْ بعض القوة ولكنها عادت بخفي حنين!!"

أخبريني بالله عليكِ كيف لعقلي وقلبي أن يحتملا كل هذا القهر؟!

ليس لي سوى الاستسلام لقضاء الله والتسليم له.

فـــاللهم كمـــا أخرجـــت يـــونس مـــن بطـــن الحـــوت أخرجنـــا مـــن يـــم الغـــم -هـــذا- ســـالمين معـــافين فى ديننا وعقولنا

"لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"

شق روحك/

توأمك.

الرسالة الثالثة عشر

صديقي الصدوق وصاحبي الصحوب

سلام الله عليك ورحمته وغوثه

ترى هل علمت بما حدث لي؟ هل هددوك؟

مؤكد قد فعلوا وإلا فلمَ أتعبوا أنفسهم باختطافي!!

هل هذا يعني أنك قد بدلت شهادتك؟! و أنه سيتم الحكم عليك بالسجن أعوام!! لِمَ كل هذا القهروالظلم؟!

هل ستحتمل أمُّنا كل هذا؟ هل تستطيع؟ ابتلاها الله بفقد زوجها وولدها الأصغرفي حادث انقلاب سيارة وصبرت واسترجعت، ثم ابتلاها بسجنك واتهامك بتلك التهمة الشنعاء بالباطل فتصبرت.

أصـــيبت بشـــلل نصـــفي فاحتســـبت، لكـــن أن تختطف ابنتها وتختفي دون أثر فهل تحتمل؟!

لا أعتقـد هـذا، بـل أظـن أنهـا .... لا لـن أظـن شـيئًا سوى الخير؛ الله قدر هذا والله رؤوف بنا.

أجـل هكـذا كانـت دومًـا ترددهـا علـى مسـامعي مُربتـة علـى قلبـي عنـد الشـدائد والمصـائب "حبيبتي، لا يبتلينـا الله ابـتلاء إلا قـدر طاقتنـا؛ هـو -جـل جـلال- مَـن أخبرنـا بـذلك في كتابـه "لا يكلـف الله نفسًـا إلا وسـعها"، فـإذا نزلـت بنـا المصـيبة فوجـد منـا الرضـا فلـم نقـنط رزقنـا معهـا الصـبر والسكينة ولطف بقلوبنا"

لكـن مَـن يواسـيها الآن؟! مَـن يراعيهـا؟! و أنـت كيـف حالـك بعـد أن علمـت؟ رأسـي تكـاد تنفجـر وعينـاي تورمتا من سيل البكاء.

أدعو الله و أبتهل إليه أن يجعل لنا من هذا الضيق مخرجًا. وأن يصب علينا رحمته صبًا؛ فقد نُزِعت الرحمة من قلوب كثير من البشر.

ها هم أولاء مَن يحتجزونني بهذه الزنزانة التي يدعونها غرفة!! وهي قبو كقبر مظلم سوى شباك بعيد بأعلى الحائط يكاد يلامس السقف بقضبان حديدية يواريها من الداخل والخارج أسلاك من الحديد أيضًا لا تسمح بمرور ضوء القمر ولا خيوط أشعة الشمس، بلا سرير ولا مقعد، بلا مرحاض!!

حينما وددت الصلاة؛ لمناجاة ربي وأردت قضاء حاجتي سألت ذاك المرتزق وهو يحضر لي الطعام فأجابني:

"غير مسموح لك بالذهاب إلى دورة المياه سوى مرة واحدة في الصباح، فإذا أردتِ قضاء

حاجتك في غير الوقت المحدد فهذا الدلو هو مرحاضك وزجاجة المياه هذه لشرابك واغتسالك"

يا له من سخاء ويا لهم من نبلاء ذوي مروءة وكرم!! دعك من شرب الماء فبعض القطرات تحييني، لكن أن أقضي حاجتي داخل دلو!! كل هذا الذل يؤذيني لكن ليس بقدر نظرات هذا الخبيث وزميله الخبيثة مثلهما وكلامهما القذر البذيء الذى يشعرني كأني عارية أضم جسدي إلى ركبتيَّ وأسد بكفيَّ أذنيَّ مغمضة عينيَّ أريد الفرار والاختباء كعصفور مهيض الجناح وقع بين يدي خنزير بري، يا إلهي هل للنجاة من قاع الوحل هذا من سبيل؟!

شق روحك/

توأمتك.

الرسالة الرابعة عشر

صديقتي الصدوقة وصاحبتي الصحوبة

سلام الله عليك ورحمته وبركاته

ترى كيف حالك و أنت بين أيادي هؤلاء الخنازير؟ هل آذوك؟ هل أغرقوك بوحلهم عنوة؟

لا تغفل عيناي حتى أراك تغرقين والجاثوم يقيد جسدي أصرخ باسمك دون استطاعتي تحريك فمي أو حتى لساني!!

أستيقظ على وكزات زملائي متأففين بعدما أيقظهم أنيني!!

يا له من كابوس مفزع كو اقعي!! لا فرق لدي بين يقظتي ونومي كلاهما بائس مخيف.

أيام ثقال تمر على روحي كثقل جبل.

رواسيه تدهس قلبي وتكاد تفقدني عقلي لولا صلاتي ودعائي وذاك العم الطيب!!

لم أخبرك عنه من قبل وسط كل هؤلاء الفسقة -زملائي- كان هو كنجمة تنير عتمة ليلي من بعيد، يصبرني يشد من أزري "إن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه والنبي ﷺ يقول: أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل" وهم أحباب الله.

فالابتلاء يبتلى به الأحباب ليمحصهم، ويرفع درجاتهم، وليكونوا أسوة لغيرهم حتى يصبر غيرهم ويتأسى بهم، بالصبر والتصبر يمر كل مر هكذا هي الحياة ؛ أيام قلائل والآخرة هي دار البقاء.

هكذا يخبرني دومًا.

يـذهلني ثباتـه كمـا تدهشـني تهمتـه"قاتل متعمـد!!" لا أصـدق حقًـا!! كـل هـذا النقـاء ووضـاءة الوجـه تسكنان قاتل!!

كلمـا حدثتـه أني لا أصـدق تهمتـه وأظنهـا افتراء بـل أنـا مـوقن، يربـت على كتفـي بابتسـامته المضـيئة ماضـيًا تاركًـا إيـاي متخبطًـا حتى أخبرنـي أحـدهم أنـه بالفعـل لـيس بقاتـل بـل أخـا زوج أختـه الصـغرى هـو مـن دبـر لـه بليـل؛ كـان زوج أختـه ذاك قاسـيًا شـديد العصـبية؛ حتـى أتـى يـوم وتشـاجر معهـا في وجـود أخيهـا وضـربها فتشـاجر معـه أخوهـا واشـتبكا بالأيـدي وعـلا صـوتهما حتى صـعد الجيـران وأخـوه الـذى يعمـل معـه بمحلـه تحـت البيـت و انتهى الأمـر بأخـذه أختـه وأطفالهـا لجـواره ببيتـه. لـم يكـن يعلـم أن هنـاك مـن جاءتـه فرصته على طبق من ذهب.

أرسل رسالة للعم الطيب من هاتف أخيه -دون علمه- أنه يريد أن يتحدث معه بأمر أخته وأطفالهما وأن يأتيه إلى البيت بعد العشاء كي يتفاهما وقبل الموعد بدقائق صعد لبيت أخيه وذبحه على حين غرة وترك السكين بعد أن مسح عنها بصماته ثم عاد إلى المحل كي يشهد على وجوده من بالشارع. وبالفعل صعد العم الطيب إلى البيت واجدًا الباب مواربًا شبه مغلقًا ثم صعد خلفه ذاك الخبيث بعد أن أخبر أحد الجيران أن يحرس المحل حتى يصعد لأخيه وذاك العم حتى لا يتشاجرا كما بالأمس.

وحدث ما حدث وبالطبع شهد الجيران على ذاك العم الطيب ولم يعلم الحقيقة سوى أحد أصدقاء ذاك الأخ القاتل واللذان كانا يتناولان المخدرات معًا فاعترف الأخ دون وعي منه.

وبالطبع لن يخون صديق السوء صديقه لكنه لن يمنع لسانه أن يفلت لمن هم حوله.

هكذا هي الخيانة حين تأتي من أقرب الأقربين إليك... أخ يقتل أخاه!!

ما هذه الدنيا وما هذا الغثاء؟!

إيييهٍ، متى تمر أيام التأجيل هذه ويتم الحكم عليَّ؟! كي تعودي إلى قوقعتك الطاهرة النقية وسط أمي وأختنا ووسط اللآلئ الأنقياء.

فاللهم هون والطف ونجِ كل يونس من بطن الحوت.

شق روحك/

توأمك.

الرسالة الخامسة عشر

سلام الله عليك ورحمته وفرجه،

اشتقت إليك رفيق الرحم والطفولة والكبر.

علمت اليوم أنه قد تم الحكم عليك بثلاثة أعوام و أنت التقي البريء!!

مضى منهم ستة أشهروبقي أضعافهم. أعوام تسرق من عمرك دون جريرة سوى أنك رجل حر!! حر شريف ذو نخوة وشهامة أصبح السجن له دارمقام! بالفعل أرجو الله أن أخرج من جب الدناءة هذا في التووالحظة، لكنني أبدًا لا أتمنى لك السوء بحكم قاسٍ بُني على أقوال بدلتها مكرهًا. يبقيك بشرنقة السجن تعتصرروحك تخنقك، تفتدي حريتي بقيدك.

وهل تظن روحي ستكون حرة وشِقُّها سجين؟!

يـا ويـح قلبي!! لـو أنني فقـط أطمـئن على أُمِّنـا وعليك وبعدها يهون كل شيء.

سألتُ أحد كلاب حراستي:

"ألـيس مـن المفتـرض أن تخرجـونني مـن قبـو البـؤس هـذا وتعيـدونني إلى بيتنـا؟ ألـم يكـن هـذا اتفاقكم مع أخي بعد أن تسببتم بسجنه؟!"

نظر إليَّ بوجه جامد ثم أجابني:

"لا أعلـم، لـم يأمرنـا صـاحب العمـل بتركـك بعـد، ولا نستطيع سؤاله"

لا أعلم، لِمَ قلبي غير مطمئن؟

إييهٍ... ربما ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا.

اللهم أنزل سكينتك على قلبي وقلب أخي وأمي.

شق روحك/

توأمتك.

الرسالة السادسة عشر

صديقتي الصدوقة وصاحبتي الصحوبة

سلام الله عليك وأمنه وبشراه،

كيف حالك توأمتي؟ أرجو الله أن تكوني بالبيت الآن كما وعدني هذا الخبيث من قبل.

حمدًا لله قُضِي الأمر اليوم بعد أن جاءني ذاك المحامي الفاسق قبل بداية الجلسة ليحذرني ويطمئنني بخروجك بعد أن أثبت على تبديل أقوالي.

وأخيرًا نطق القاضي بالحكم، لم أهتم حقًا بما نطق ولم أعِ كم عامًا قد قضى؟

يكفيني أن تصلني رسالة منهم بعودتك وأن يأتي موعد زيارتك لي وأراكِ بعينيَّ هاتين وآخذك بين يديَّ.

لكـــن .... لكنني بعـــد ســـماع الحكـــم بحثـــت عـــن محـــامي ذاك العربيـــد فلـــم أجـــده؛ كي يطمـــئن قلبي الملتاع بنظرة توكيد بعودتك لبيتنا!!

لا أعلـم لِـمَ سـكن الخـوف روحي حتى زاغـت عينـاي وهما تبحثان عنه فى قاعة الحكم؟

فـــاللهم كمـــا أعـــدت إلـىٰ يعقـــوب بصـــره بقمـــيص يوســـف أعـــدت إلـيَّ ســـكينة قلبي برســـالة برجـــوع توأمتي.

شق روحك/

توأمك.

الرسالة السابعة عشر

صديقي الصدوق وصاحبي الصحوب

سلام الله عليك ورحمته وفرجه،

يبدو أن هناك أمرًا جلل يحدث مع هؤلاء الفاسقين؛ فاليوم أخبرني أحد كلاب حراستي "سنفتقدك أيتها الحلوة؛ إقامتك معنا ستنتهي بأي لحظة "

تر اقص قلبي أخيرًا وتنفست الصعداء؛ يبدو أن موعد عودتي لحضن أمي قد اقترب.

لكن تلك السعادة لم تدم لثوانٍ واغتصب مكانها الدهشة وعدم الفهم بعدما استطرد قائلًا:

"أخبرني الباشا أن نتجهز لنقلك لمكان آخر سيخبرنا به بأي لحظة"

قضـبت جبيني بعـدم فهـم دون أن أفلـت ذراعـيَّ الملتفـين حـول جسـدي -كعادتهمـا عنـد دخـول أحـد الـذئاب؛ كسـدٍ منيـع يحـول دون نظـراتهم الدنيئة ككلماتهم.

هـل أصـبحت غبيـة أم هـو الـذي يتحـدث بألغـاز؟! أي مكـان هـذا الـذى سـينقلونني إليـه؟ ألـيس مـن المفترض أن يكون هذا المكان هو البيت؟!

ثم أكمل مبتسمًا بخبث:

"الأمور مشتعلة وهذا أفضل مكسب لنا"

بعدها نظر إلى بنظرات غامضة متمتمًا:

"لـولا تعليمـات صـاحب العمـل لكنـا قضـينا وقتًـا جمـيلًا معًـا!!" ثـم مضـى صـافعًا البـاب خلفـه كشأنه دومًا.

ترى ماذا كان مقصده بانتقالي لمكان آخر؟

وماذا يقصد هذا الثعلب بالأمور مشتعلة؟!

ألم يكن هدفهم من اختطافي هو تهديدك لتبديل أقوالك وتبرئة ابنهم الفاسق العربيد؟

ألم يعدوك بتحريري عند تنفيذك ما أرادوا؟!

بخ بخ أيها الفسقة الفجرة ما يفي بعهده سوى الحروما أنتم إلا خائنون غادرون.

اللهم أذل من ظلمنا وفك كربنا وفرج همنا.

شق روحك/

توأمك.

الرسالة الثامنة عشر

صديقتي الصدوقة وصاحبتي الصحوبة

سلام الله عليك ورحمته وأمنه وأمانه،

يكاد عقلي يجن توأمتي؛ انتظرت رسالة عنك تطمئن قلبي الملتاع عليك لأيام ولكن دون جدوى، أسأل زميلي رسول ذلك الذئب فيخبرني: "لم يرسل أحد إلي شيئًا"

والمحامي الخاص بهم فرواختفى من قاعة المحكمة كذرة ملح ذابت بكوب ماء عذب!!

جافى النوم جفني إلا من غفوات أراك فيها ثم تختفين، أنادي عليك فزعًا مُفزِعًا لأولئك النيام حولي، حتى أتى النبأ اليقين بزيارة أختنا الكبرى و ابنها وصديقي ويا ليته لم يأت.

"أختنا لم تعد إلى البيت حتى اليوم"

هكـذا أخبرتني أختنـا وهكـذا صـدمتني الصـاعقة بعدما سألتها عنك بلهفة دون أن أسلم عليهم.

"مـاذا؟! كيـف ذلـك؟ ألـم أبـدل أقـوالي كمـا أرادوا و أنقـذت ابنـه العربيـد مـن السـجن لمـاذا لـم يـف بعهده ويحرر توأمتي ويردها إلى بيتها؟! "

فأجـابتني أختنـا بصـوت قـد بـح مـن البكـاء والحـزن قائلـة "بحثنـا عـن محـامي ذلـك الفاسـق وذهبنـا إليه بمكتبه فأجابنا متهربًا:

"لا أعلـم شـيئًا أنـا فقـط سـاعدت محـامي أخيـك بـبعض الثغـرات بالقضـية ليصـل إلى هـذا الحكـم حتـى يمكنـه بعـدها الـنقض علـى الحكـم والحصـول علـى البـراءة أو تقليـل الحكـم إلـى عـام وهكـذا يتبقـى لـه أشـهر قليلـة حتـى يخـرج مـن السجن".

ظللت بتيهٍ قد غزا عقلي أهزي بكلمات غير مفهومة حتى أفقت على كلمات صديقي:

"حمدًا لله أمك قد أفاقت من الغيبوبة "

قالها محاولًا تهوين الأمر على هوله!!

حقًا تمنيت لو لم تفق الآن من غيبوبتها؛ فكيف يكون حالها بعد أن تفق وتجد ابنها قد حكم عليه بالسجن لأعوام سدى و ابنتها لم تعد؟!

"وماذا أخبرتموها؟"

سألتهم بعقل ذاهب فأجابتني أختنا:

"أخبرناها بأن الجلسة قد تأجلت وأن الخاطفون قد وعدوا بإعادتها فور الحكم عليك. هكذا قلنا وعرَّضْنا لم نكذب ولكننا أيضًا لم نصدق!!"

أغمضت عينيَّ بقهر ثم سألتها:

"وما كان جوابها؟"

زاغت أختنا ببصرها متلجلجة ثم قالت:

"فقط بكت فهي لم تعد تتكلم فالجلطة قد أثرت على نطقها وحركتها أكثر مما قبل"

يا ويح قلبي ما كل هذا القهر!! كيف لقلبي أن يتحمل كل هذا بل كيف لعقلي أن يثبت ولا يذهب؟!

جثا صديقي على ركبتيه مواجهًا إياي محدثًا:

"هناك أمرًا آخر"

سألته بأعين شاخصة ولسان مثقل:

"ماذا أيضًا؟ "

تحمحم ثم قال:

"هناك أحدهم يبدو أنه منافس لوالد ذلك العربيد وبينهما صراع قد وصل إلى أختك

الكبرى وتواصل معها يقول أنه قد علم بما وقع عليك وعلى توأمتك من ظلم و أنه سيساعدك وسيأتيك بمحام كبير ليقوم بعمل نقض على الحكم على أن تقوم بالاعتراف بحقيقة جل ما حدث دون تبديل وما هددك به وأن الفتاة الضحية هي الأخرى ستشهد بالحق مرة أخرى بعد أن وعدها وأهلها بالأمان من بطش العربيد و أبيه، وأخبرها أنه قد علم مكان توأمتك لكنه حين أبلغ الشرطة ووصلوا إلى المكان كان قد نقلها لمكان آخر لكنه سيصل إليه حتمًا ويعرفه"

يا إلهي!! ما هذا؟! أكاد أجزم أنه فاسق مثله لكنه فقط يريد القضاء عليه عن طريقي. ويال ضعفي ليس أمامي سوى القبول والاستسلام ربما يكون سببًا لإنقاذك والوصول إليك.

لا أعلم لماذا تذكرت دعاء "اللهم أهلك الظالمين

بالظالمين وأخرجنا من بينهم سالمين"

لكن هل يا ترى سنخرج من بينهم سالمين؟!

اللهم كما رددت موسى ويوسف إلى أهلهم رد إلى أمي شقي.

شق روحك/

توأمك.

الرسالة التاسعة عشر

صديقتي الصدوقة وصاحبتي الصحوبة

سلام الله عليك ورحمته ولطفه،

اشتقت إليك شق الروح والقلب.

شهر مضى بعد الحكم عليَّ و انقطاع خبرك عنا.

جلسة النقض على الحكم كانت اليوم.

إما قبول النقض وإعادة الحكم فى القضية وإما الرفض وتثبيت الحكم، وحمدًا لله قد قُبِل.

محامي ذاك المنافس لوالد العربيد يطمئنني بالبراءة!!

لا يعلم أن قلبي قد نسي كيف هي الطمأنينة والسكينة مذ علمت باختطافك ...

حقًا لا يهمني أن أقضي باقي عمري خلف هذا

البـاب الحديـدي على أن أراكِ آمنـة داخـل حضـن أمي.

سـيان هـو ذاك المنـافس ووالـد العربيـد؛ كلاهمـا يتلاعبـان بنـا ككـرة التـنس هـذا يضـرب الكـرة ويلقيهـا إلى ذاك والفـائز هـو مـن يسـتطيع قـذفها بعيدًا عن مرمى يد الآخر.

فقـط نحـن بالنسـبة لهـم دمى ماريونيـت يحركونهـا كيف يشاءون لكنني حاولت ...

حاولـت الخـروج عـن سـياج حظيرة الـدجاج التى حاوطونـا بـه؛ كي لا نتعـدى حـدودنا التى خطوهـا لنـا، واشـترطت عليـه أنني لـن أتفـوه بكلمـة فى المحكمة قبل أن أراكِ سالمة بقاعتها.

فهـل يـا تـرى سـيحقق لي شـرطي؛ كي يصـل إلى مأربه؟!

يا ليت ...

ليته يردك إلينا حتى إذا بقيت مدينًا له طوال العمر لا يهم.

يا ويحي!! ما الذى أقوله و أتفوه به؟! هل ألوذ إلى غير الله ألتمس أن يجود عليَّ؟!

غفر انك ربي أشهدك أني لا أشرك بك أحدًا فامنن علي يا ذا الجود ونجِ أختي وأعدها إلى حضن أمها.

شق روحك/

توأمك.

الرسالة العشرون

صديقي الصدوق وصاحبي الصحوب

سلام الله توأمي ورحمته وبركاته،

كيف حالك توأمي؟! لا بأس من السؤال حتى ولو لم يكن له مجيب!!

أخيرًا حظيت بقلم وورق فقد نسيتهم تلك الدخيلة الفضولية التي لا أعلم ما بها ولماذا سألتني عن حالي وحالتي؟ وكيف دخلت عندي من الأصل؟ فقد سمعته يحذر الجميع من دخول أحد إلى غرفتي سوى من حددهن هو!!

أتظن أخذي للأوراق والقلم يعد سرقة؟ يا ربي سامحني واعف عني.

يا لغبائي لم أخبرك أين أنا؟!

حسنًا لأزعجك قليلًا كعادتي معك -لا بأس إن

كان كثيرًا أليس كذلك؟!-

أعلم أنك تمل مني حين أثرثروتنعتني بالثرثارة جالبة الصداع ورغم ذلك حينما تجدني صامتة شاردة تظل تشاكس فيَّ حتى أبث لك بما يهمني.

على كل حال سأخبرك، ذاك اليوم كلاب الحراسة فتحوا عليَّ ذاك الباب اللعين هاتفين: "هيا، سنرحل من هنا"

وقبل أن أتفوه سائلة إلى أين؟ كانوا يجذبونني من ذراعي بقوة؛ حتى دفعوني إلى السيارة مرة أخرى معصبين عينيَّ.

ارتعد قلبي لم أدرِلماذا؟ لكنني ظللت أمني نفسي بأنني عائدة إلى بيتي حتى وجدتني في منفيَّ الجديد هذا، ألم تعلمه بعد؟!

حسنًا سأدعك تخمن ما هو؟ وسأعطيك مفتاح

للحل.

هو مكان أشبه بالسجن حوائطه بيضاء اللون كلون فراش سرائره الحديدية، لكن أختك لأنها مميزة فهي تملك غرفة خاصة بها وحدها غير مسموح لها أن تتحدث مع أحد من زملائها أو... حسنًا لن أخبرك لا بد أن تكمل التخمين.

ألم تعرف الإجابة بعد؟! يا لك من قليل الفهم والذكاء!!

حسنًا سأساعدك مرة أخرى:

"هو مكان تسمع فيه ضحكات وقهقهات عالية وبلحظة تتحول هذه الضحكات إلى صرخات مدوية، تسمع غناء إحداهن الذى يتحول إلى صياح وسباب ولعن لآخر لا يراه سوى لاعنه، مكان ساكنيه هم ضحايا سكان خارجه".

ألم تعلم بعد أيها الذكي؟!

لا مناص إذن من أن أغششك أنا إياه!!

إنه "مشفى الأمراض النفسية والعصبية "!!

ما بك هل صدمت؟! لا تجزع توأمي ولا تحزن فأنا كنت مثلك عندما وصلت إلى هنا.

صاعقة أصابتني وتيه، بكاء وشهقات كادت توقف قلبي، ترجي لكل من يقابلني من أطباء وممرضات لكن دون جدوى!!

"أنا لست مريضة ولا مجنونة عقلي حاضر غير ذاهب ولا حتى أشكو من مرض نفسي صدقوني"

صرخات مني تدوي بالمكان دون جدوى سوى حقنة مهدئ غرست بذراعي بغتة بعدها لم أر سوى ظلمات تغشى روحي فرأيتني أعدو وأعدو فرارًا من وحوش تطاردني، أفقت بعدها وجدتني

نائمة بسرير المشفى أرتدى ثياب المرضى بغرفة مغلق عليَّ بابها:

"يا إلهي!! كم كرهت الأبواب المغلقة بل كرهت الأبواب كلها"

صداع يصاحبه دوار سكن رأسي لكنني لم أيأس فقمت أستند على كل ما يجاورني حتى وصلت إلى ذاك الباب البغيض فوجدته موصدًا من الخارج. صرخت بما تبقى لدي من صوت قد بح من صراخ الصباح، أطرق الباب بباطن كلا كفيَّ برفات قوتي دون مجيب حتى انهار جسدي ساقطًا بالأرض دون أن يغشى علي.

ظللت أتفحص ما حولي بعينيَّ اللتين التهبتا من أدمعي التي جادتا بها دون توقف.

لم أشعركم مضى من وقت و أنا بهذا الوضع

حتى سمعت الباب يفتح وممرضتان تدخلان عليَّ.

" أرجوكما أخرجاني من هنا أنا لست مريضة بعقلي ولا نفسي"

أتوسل و أتوسل حتى غادرتني رباطة جأشي وعدت لصراخي الذي لا أعلم كيف أتى بهذه القوة مرة أخرى دافعة إياهما بعيدًا عني متجهة إلى الباب أهرول دون وجهة أعلمها فما كان منهم إلا أن حاصروني مرة أخرى و أتى هذا الطبيب الخسيس آمرًا إياهم بتقييدي و اقتيادي إلى غرفة الكهرباء!!

لم أفهم مقصده فقط حاولت التملص منهم بكل عزم يقاوم ألا يصير هشيمًا.

ثبت اللهم عقلي.

ما هذا؟!

دفعوني على سرير مقيدين يديَّ وقدميَّ بالسرير لم يمنعهم صدي لهم ولا دفعي حتى أوصلوا هذي الأسلاك اللعينة برأسي!!

لا هي ليست كشعور طفل قاده فضوله لوضع إصبعه في قابس الكهرباء أبدًا بل هي حريق يسري بالجسد بأكمله فيرجفه دون سلطان منك عليه حتى إذا وصل إلى الدماغ يكاد يفجره.

تشنجات تصيبك حتى يستسلم العقل ويرفع راياته ذاهبًا في سبات هاجرًا للوعي!!

وكسابقه استيقظت وجدتني فى الغرفة المغلقة التي كنت بها، حاولت النهوض بجسد متألم تكاد عظامه تتهشم، أعدت الكرة ولم أفقد الأمل بخروج أو فرار من هذا المنفى فما كان إلا أنهم

أعـــادوا هـــم أيضًـــا الكـــرة بصـــدمات الكهربـــاء المحرقة المهلكة حتى يئست....

يئســت واستســلمت فلــم أكررهــا و آثــرت الصــمت حتى أنني صـرت أنسـى أحيانًـا مـن أكـون ومـا الـذي أتى بي إلى هنـا؟ لكنني أجبرعقلي على التـذكرحتى يعود إلى رشده.

قـد توقفـت عـن العـد فلـم أعـد أعلـم كـم مضـى عليَّ هنا؟

يجـب أن أنهي هـذه الرسـالة حـالًا وأخفـي الأوراق والقلـم فأصـوات هـؤلاء الأشـرار قـد اقتربـت. يبـدو أن موعـد ذاك الـدواء الـذى يغرقني في نـوم عميـق قد حان.

شق روحك/

توأمتك.

الرسالة الحادية عشر

صديقي الصدوق وصاحبي الصحوب

سلام الله عليك ورحمته،

كيف حالك يا رفيق؟

أنا سعيدة اليوم كثيرًا وهذا لم يحدث منذ غيابك عني!! فقد كنت أحلم بك و أنا و أنت نتشاكس كعادتنا ونضحك حتى وصلت أصواتنا عنان السماء وكعادة باطن كفك - الذي اشتقته كاشتياقي إليك وكشوق عصفور حبيس القفص للأشجار- أنزلته على قفاي بغتة كالمطرقة وفررت مني فجريت ألاحقك حتى سقطتُ في حفرة وقبل أن أصل إلى عمقها وأختفي كانت يدك قد تشبثت بذراعي ورفعتني خارجها ثم ضممتني إليك مربتًا على رأسي

متمتمًا معي:

"حمدًا لله قد نجوت".

لكن كعادة كل حلم جميل لابد أن يقطعه أحدهم واستيقظت على أصوات وهمهمات بغرفتي من الممرضتين:

" لا أعلم لماذا يوترنا هكذا ويصرخ فينا؟ ماذا فعلنا له؟"

هكذا قالت إحداهما بضيق فأجابتها الأخرى مقلدة بسخرية:

"لا تتفوها عن هذه المريضة بكلمة حتى ولو سألكما عنها أحد حتى لو كان طبيبًا زميلًا أو ممرضًا؛ فهذه أسرار مرضى".

لم أفهم مقصدهما ولم يهمني حقًا ولم أرد أن أفتح عينيَّ كي لا أراهما وأرى أنني غادرت هذا

الحلم الجميل وعدت إلى بؤس و اقعي.

نغـزت إحـداهما أصـابعها في ذراعي تـوقظني؛ كي أتنـاول تلـك الحبـوب المقيتـة لكنني اليـوم لسـت بمـزاج لهـا، تناولتهـا مـن يـدها مخادعـة إياهـا و ابتعلت الماء دونها.

رحلتـا وبقيـت اليـوم أنظـر مـن الشـباك الحديـدي لأول مـرة مـذ أتيـت إلى هنـا أتأمـل السـماء مبتسـمة من حلم مَرَّوددت لو بقي.

سـاعات مضـت علـيَّ دون أن أنـام وهـذا شـيء عجيـب فمنـذ شـهور و أنـا أنـام سـاعات وأسـتيقظ ساعة!!

يبـدو أن إحـداهما آتيـة رغـم أن هـذا لـيس موعـد الـدواء ولا الطعـام!! يجـب أن أتوقـف عـن الكتابـة الآن وأخبئ الأوراق والقلم.

لا أصدق أنني أضحك كالبلهاء و أنا وحدي بالغرفة!! لا شيء يمكن أن يعكر صفوي اليوم يكفيني أني رأيتك بمنامي ....

لن تصدق أخي؛ إنها تلك الدخيلة الثرثارة التي ذكرتها لك مِن قبل مَن نسيت الأوراق والقلم.

تصنعت النوم حين سمعت إحداهما تفتح الباب بالمفتاح بهدوء كسارق ماهر يدخل الغرفة خلسة فضيقت عينَّي أراقبها بدهاء فوجدتها تمد يدها إلى حيث أخبئ الأوراق والقلم فانتفضت و انتفضت هي بالمثل فقد فاجأتها.

وضعت يدها على قلبها هاتفة بهمس وتوتر:

" قد أخفتني وأوقعت قلبي يا فتاة"

نظرت إليها رافعة حاجبيَّ دون أن أتفوه فهذا عهدي معهم جميعًا، فابتسمت إلي تلك

المجذوبة -يبدو أنها قد أصابتها عدوى الجنون من عملها مع المرضى رغم أنه غير معدٍ!!-

قضبت جبينها وقالت مستفهمة:

"لماذا لستِ نائمة الآن ككل يوم؟"

بالطبع لم أجبها فقط زاغت عيناي بالمكان هاربة من عينيها اللتين تستجوباني لكن يبدو أن تلك الماكرة قد فهمت!!

ابتسامة خبيثة ارتسمت على ثغرها ثم قالت:

"لن تخبري أحدًا أنني أتيت إلى هنا؟ أليس كذلك؟ أنا أعلم أنك لن تفعلي"

لم أقطع تواصل عينيَّ المذهولتين معها حتى لوحت إليَّ تلك الحمقاء مبتسمة وهي تمشي على أطراف أصابعها فاتحة الباب بهدوء مميت وجِل تتحسس المكان بالخارج ألا يراها أو يشعر بها

أحد!!

أتظنهـــا تعلـــم بـــأمر رســـائلي أو أنهـــا رأت الأوراق والقلم أخي؟

لا أعلـم حقًـا، سـأحاول في الصـباح البحـث عـن مكان آخر؛ لمواراتهم فقد حل النوم الآن بي.

تصبح حرًا دون قيد أو سجان توأمي.

شق روحك/

توأمتك.

الرسالة الثانية والعشرون

صديقتي الصدوقة وصاحبتي الصحوبة

سلام الله عليك توأمتي ونجاته ولطفه،

ترى أين أنت توأمتي وكيف حالك؟ أشهر أخرى مضت على اختفائك شق روحي.

هل أخبرك أنا أين أنا؟ أنا بالبيت لكن من دونك!!

اليوم أول يوم لي بعد براءتي فقد تم الحكم بها بعد إعادة المحاكمة، ياللمفاجأة!!

تلك الكلمة -براءة- كانت لتسعد قلبي ويهتز لها كياني متر اقصًا فقط لو كنت معي بالقاعة تسمعينها تخرج من فِي القاضي لكن هيهات...

هيهات لقلبي المحترق أن يذوق السعادة دونك فهل لشق القلب أن ينبض دون شقه الثاني؟!

أنا حر!!

لأشهروأشهر ليلًا ونهارًا كنت أدعو و أبتهل إلى الله و أتوسل أن يهبني إياها -الحرية- ....

يا لغبائي دومًا ظننتها خارج القضبان الحديدية والأسوار!!

لكنني الآن آمنت أن السجن ما كان قيودًا وأغلالًا فولاذية فقط، بل هو قيد روح وقهر وذل.

أو تعلمين أين أنا بالتحديد الآن؟ أنا أفترش الأرض ممددًا بجوار سرير أمي.

هل أخبرك سرًا أنا لم أرد أن أعود إلى البيت بغير وجودك فيه وفرارًا من لقاء أمي!!

كيف أواجهها وتقابل عيناي عينيها و أنت ما زلت مفقودة؟ وماذا سأخبرها سببًا لعدم

عودتك؟! هكذا كنت أفكر و أنا أقدم قدم وأؤخر الأخرى دخلت المقبرة!!

أجل فالبيت دونك موحش كالمقبرة، عتمة تغشاه مهما أضاءته مصابيحه كئيب كل شيء وكل ركن به.

دفعتني أختي وصديقي دفعًا كي أدخل غرفة أمي!!

يا لبؤسي أعلم حالتها ومرضها لكن علم اليقين ما كان أبدًا كعينه. تصنمت بمكاني و أنا أراها هكذا طريحة الفراش فقط عيناها تفيضان بأدمعها غير مصدقة تتفحصاني، ءأنا حق أم هلاوس مرض قد أصاب العقل بالوهن قبل الجسد!!

حبيبي!! نادتني بها رغم ثقل لسانها وعدم

وضوحها لكنني فهمتها وكيف لا أفهم من فهمت غمغماتي بالصغر!!

مدت إلي ذراعها المعافى غير المصاب بالشلل فارتميت بحضنها أبكي و أنوح، أشدد من ضمتها وهي مثلي تفعل.

رفعَت رأسي فلم ترمني سوى فرار عينيَّ من مقابلة عينيها. لكنها حولت وجهي وبصري لمرآها تسألني عنك فلم أجد للسؤال جواب غير تصنع الغباء وعدم الفهم!!

لم ينجدني من موقف الخزي هذا سوى صديقي هاتفًا:

"ستأتيك بمشيئة الرحمن وتعانقينها كما ولدك هذا، هي بخير إن شاء الله فكما وعدنا الرجل ببراءة ولدك مؤكد سيعيدها حينما يعود من

سفره غدًا أو بعد غد لا تقلقي"

يا له من حاضر البديهة!! أقنعها بتعريض الكلام لكن حتى متى؟!

حضر من حضر لتهنئتي بالبراءة مؤكدين يقينهم الدائم بها لكن نظرات أمي وصديقي و ابتسامتهما المتهكمة قد وشت بما تواريه الألسن المعسولة.

وأخيرًا غادروا جميعًا وخلا البيت إلا من أهله أو من تبقى من أهله فدونك لا اكتمال لبيت ولا أنس؛ فقط ذكريات تقيم عليَّ حرب ضروس و أنا بائس ذليل النفس منكسر.

أصرت أمي ألا أغادر غرفتها وأن أبيت جوارها بدلًا من أختنا لكنني أصريت على افتراش الأرض -ويكأنه أمر جديد عليَّ!!-

نسيت أن أخبرك أن صحفيًا بإحدى الصحف قد أتى إلى البيت و اتفق معي على لقاء في الغد أقص فيه ما حدث، لم أرغب بذلك لكنه ظل يقنعني أن كشف الحقيقة ربما يساعد في إظهارك وعودتك -فقد أصبحت القضية قضية رأي عام وتتناقل الأخبار عنها جميع البرامج وصفحات التواصل الاجتماعي والصحف- فو افقت.

أتتساءلين كيف حدث كل ذلك؟! يا لذكاؤك ألا تعلمين أن ذاك المنافس هو أبا الفاسق وجهان لعملة واحدة؟!

ذلك المنافس يتظاهر بالتعاطف معنا ومساعدتنا باحثًا خلف الآخر؛ كي يوقعه؛ انتقامًا منه وكي يخلو مكانه له ونحن مجرد خراف يسوقوننا حيثما أرادوا وفقًا لمصلحتهم!!

كما أخبرتك من قبل كنت قد اشترطت أنني لن أدلو بشهادتي إلا إذا رأيتك بقاعة المحكمة لكن أختنا الكبرى وصديقي أقنعاني بأن أدلي بشهادتي بكل حال حتى أخرج من هذا الجب وأحاول البحث عنك وأكون جوار أمنا ربما يعطيها هذا القليل من الأمل؛ كي تستعيد صحتها.

وقد فعلت فالخسيس هذا لم يردك إلى أمنا حتى بعد تبديل شهادتي ولا أعلم لماذا؟ فماذا كنت سأخسر أكثر من ذلك؟!

فاللهم يا من تقول للشيء كن فيكون دبر لنا أمرنا واجمعنا بأختي عاجلًا.

شق روحك/

توأمك.

الرسالة الثالثة والعشرين

صديقتي الصدوقة وصاحبتي الصحوبة

سلام الله عليك توأمتي ورحمته،

كيف حالك شق روحي؟ اشتقت إليك رفيقة الروح والرحم.

يا ويح قلبي الذي لا يغادره الخوف والقلق على مصيرياسمينته النقية، طاهرة الروح، وبيضاء القلب.

وأمي!! آه وآه من حال أُمِّنا... لا أجد مناص من إجابة سؤالها سوى التسويف والتعريض ....

"الرجل مسافرولم يعد بعد، بمجرد أن يعود ستعود هي الأخرى إلى البيت"

هكذا أُخْبرُها وهكذا أُمنِّي نفسي...

ألم أخبرك برسالة الأمس؟!

أبو ذلك العربيد قد سافر بغتة هو والعربيد ابنه خارج البلاد يوم الحكم ببراءتي!!

فقد خدعهم المنافس ولم يظهر بالصورة قبل المحاكمة و اتفق محاميه مع محاميَّ على مساعدته في الخفاء وأخبرنا ألا نخبر أحدًا بأنني سأدلو بشهادتي الحقيقية دون تبديل.

كما أخبر محامي العربيد محاميَّ:

"يدلو بشهادته المبدلة التي شهد بها المرة السابقة وستكون أخته عنده بعد الحكم، وهذه بعض الثغرات التي يمكنك الاستعانة بها لتقليل الحكم عليه"

وحينما طلب منه محاميَّ التأكد من أنكِ بخير وضمان لعودتك قال متهربًا:

"أنا لا أستطيع أن أؤكد لكم شيئًا هذا ما أخبرني به موكلي وفقط".

بالطبع لم أصدقه فإن كان سيصدق في وعده كان ردك إلينا بعد الحكم الأول وهو موقن أنني لن أعيد شهادتي كي أضمن ألا يعيد اختطافك.

فكانت شهادتي وبراءتي مفاجأة له فما وجد له من مفر سوى الفرار و ابنه حتى لا يتم القبض عليهما.

سئمت....

حقًا سئمت من أولاء الذين يهاتفونني أو يرسلون رسائلهم منذ أمس بعد أن عرض ذاك اللقاء الصحفي ونشر صورتك على شاشات التلفاز والمو اقع الإلكترونية.

يبشرونني بأنهم رأوكِ بأحد الأماكن فيدفعني

قلبي مهـرولًا يكـاد يشـق صـدري حتى أراكِ كـي يسـترد سـعادته فمـا أجـدك إلا سـر ابًا لقلبـي الظمآن.

خداع ووهم أو قلة عقل ربما!!

مـن أنـاس غيـر مـوقنين بـأن مـن رأوهـا هـي أنـتِ؛ تمامًـا كمـن يلقـي لغريـق بحبـل ذائـب حتى إذا دب بقلبه الأمل تبخر.

حتى أن اليـوم جـاءتني رسـالة غريبـة مـن حسـاب مجهـول يخبرنـي أنـك بمشـفى الأمـراض النفسـية والعقليـة. هـل جـن صـاحبها؟ أجـل أنـا بالفعـل كنـت دومًـا أدعـوك بالمجذوبـة لكنـه لـم يكـن أبـدًا سوى مزاح أخوين يشاكسان بعضهما.

بـالطبع لـم أصـدق ولـن أصـدق أبـدًا فقـد مللـت من ادعاء الآخرين رؤياكِ.

فـاللهم يـا مَـن جمعـت يوسـف بأبيـه وأخيـه اجمـع بيننا وبين أختي.

شق روحك/

توأمك.

الرسالة الرابعة والعشرون

الصديقان الصدوقان والصاحبان الصحوبان

كيف حالكما أيها التوأمان؟

هذه الرسالة الأخيرة والتي أعلم أنها لن تصل لكليكما كما لم تصل سابقاتها من رسائلكِ أيتها الفتاة التوأم.

أذكريوم أحضروكِ بهذا المكان رأيت بكاءكِ وصراخكِ أيتها الفتاة.

كل مرة أرى واردة جديدة إلينا بالمشفى يتقطع قلبي على حالها لكنكِ أنتِ!!

لا أعلم لماذا شعرت بشعور غريب.. شعور صدق فأنا قد صدقتك بالفعل!!

أنتِ لستِ مريضة نفسية ولا مجنونة وما زاد من شعوري هذا هو اهتمام كبير الأطباء ونائب مدير

المشفى بكِ وخصه نفسه بحالتكِ أنتِ دون غيره وفوق ذلك وضعكِ بقسم الحالات الخطرة!!

لا يوضع بهذا القسم سوى الفاقدين سيطرتهم على عقلهم المؤذين لأنفسهم وغيرهم حد القتل!!

تأكدت ظنوني حينما وقفت صدفة بجوار تلكما الممرضتين المختصتين بحالتك -أجل قد علمتهما يوم أحضروك فأنا قد تتبعتكم إلى أعلى خلسة وسمعت الطبيب يأمرهما باختصاص حالتك هما فقط؛ إنه الفضول مَن يستطيع كبته؟! – وسمعت إحداهما تخبر الأخرى وهي تسلم ورديتها:

"هذه الفتاة ليست مريضة بعقلها ولا نفسيتها، أنا مرَّ عليَّ الكثير من هذه الحالات ور أيت حالات

وصفت كما وصف الطبيب حالتها ربما يحاولون الانتحار بكل السبل حتى مع تأميننا للمكان حولهم ألَّا يكون به وسائل تعينهم على قتل أنفسهم أو قتل غيرهم، لكنها ليست كذلك أبدًا إنها حتى لم تحاول إيذاء نفسها أو غيرها".

بالطبع ما زادني هذا إلا فضولًا قاتلًا:

"لكنني لم أستطع البوح به".

لن تصدقي بحثت حتى علمت مواعيد حضور كبير الأطباء هذا، ومواعيد راحة الممرضة الخاصة بك أثناء ورديتي وقررت أن أتسلل خلسة إلى غرفتك لأراكِ.

بالطبع كنت أعلم أن غرفتك مغلقة بالمفتاح لكنني كنت تتبعت إحدى الممرضتين قبل انصر افها ور أيت أين تترك مفاتيح العمل

وتسللت إلى المكان وسرقتهم.

وعندما تحيَّن إلىَّ الوقت المناسب دخلت إليك غرفتكِ وكنتِ حينها تكادين تذهبين في ثبات عميق لولا أن أدركتني فأفقتِ حينها حاولتُ التحدث معكِ والتأكد من ذاك الشعور لكنكِ لما تبالي بي حتى...

حتى رأيت عينيك تتعلقان بهذي الأوراق اللاتي بين ذراعي وذلك القلم الذي بيدي.

وحين عرضتهم عليكِ أبيتِ لكنني رأيت تلك النظرة المشتاقة في عينيك فتركتهم عامدة متصنعة النسيان ومضيت.

بالطبع لم يدعني فضولي الأحمق هذا في اليوم التالي.

دخلت كما دخلت أمس إلى غرفتك لكنك كنتِ

قد ذهبت في نوم عميق.

نظـرتُ حولـكِ فـي المكـان فلـم أجـد لا الأوراق ولا القلم.

"أيمكن أنهم قد أخذوهم منك؟"

هكـذا تسـاءلت حتى قـادني عقلـي أن أبحـث ربمـا أصل إلى شيء أوربما إلى اللا شيء!!

لكـن نظر اتـك المتعلقـة بـالأوراق والقلـم بـالأمس كانـت تـدفعني للبحـث... بالفعـل بحثـت حتـى وجـدتهم ووجـدت أولى الرسـائل التي سـاقتني إلى غرفتـك هـذه كـل يـوم حتى أعلـم قصـتكِ وأرضـي فضولي الذى لا يُروَى من ظمأه مهما شرب!!

لـم تخبـري برسـائلك بـأجزاء القصـة كلهـا فلـم أربـط الأحـداث كاملـة كانـت هنالـك حلقـة مفقـودة ربمـا هي بـذاك المكان الـذى ذكـرت أنـكِ كنـتِ فيـه

قبل أن يحضركِ كلاب الحراسة الذين ذكرتهم آنفًا؟ ربما...

حتى قرأتُ على وسائل التواصل الاجتماعي قصة ذاك الشاب وأخته وقضيتهما ور أيتُ صورتك!!

وقتها فقط ربطت الأحداث ببعضها ومعها توتر كبير الأطباء نائب المدير وعصبيته.

لا أعلم لماذا تحولت وقتها إلى المحقق كونان أو ربما إلى إحدى الجاسوسات؟

كلما رأيته تابعته بنظراتي حتى إذا تحدث بهاتفه الخلوي وذهب إلى مكتبه تسللت خلفه حتى سمعته من خلف الباب يصيح:

"لماذا لا تجيب عليَّ أيها الحقير قد أضعتني، لو أبلغت عني إحدى المرضتين لضعت؟"

ما هذا؟! العقد بدأت تنحل واحدة تلو الأخرى. إذن فأنتِ هي تلك الفتاة الضائعة، وهذا الرجل الذى لا يجيب نائب المدير هو من اختطفك. لكن اسمك في ملف حالتك بالمشفى هنا ليس اسمك الحقيقي، كيف ذلك؟

ذهبت إلى ملفات المشفى متصنعة البحث عن ملف إحدى مريضاتي لكنني شغلت الموظفة عني بحديث لاه حتى وجدت ملفك ووجدت به تقرير من إحدى دور الرعاية الخاصة بالمشردين وبه تقرير من طبيب نفسي آخر يصف حالتك بالخطيرة و أنك حاولت الانتحار مرارًا وتكرارًا و أنك عدوانية!! ولهذا أتوا بك إلى هنا وأنهم حينما وجدوك لم يكن معك أوراق و أنك فقط قلت أن اسمك هو ما بالملف فجهزوا أوراق رسمية به وأحضروك إلى هنا.

يال ظلمهم!!

سارعت بالبحث عن حساب أخيك على وسائل التواصل الاجتماعي حتى وصلت إليه لكنني خفت...

خفت أن أفقد عملي إذا علموا بذلك فأرسلت رسالة من حساب مجهول بوجودك هنا فلم يصدقني. فما وجدت حيلة سوى أن أرسل صورتك و أنت نائمة بسرير المشفى كي يصدق.

فلما رآها اتصل بي مكالمة صوتية فأخبرته أن يحضر لكن مع الشرطة -حتى لا ينكروا وجودك ويكذبوه- وألَّا يخبر أحدًا عني.

وبالفعل.... ما هي إلا ساعات وقد حضروا وحدث ما توقعت و أنكروا لكن إخباري لأخيك باسمك المزيف وحضور الشرطة قد ساعد في

إثبات الأمر.

لا أنسى أبدًا نفي نائب المديروخوفه وتوتر نظراته وتعرقه واحمراروجهه ولا أنسى لقاءكما!!

كنت نائمة أنت كالملاك وأخوك يكاد يخترق الباب أثناء فتحه بالمفتاح لا يستطيع الصبر.

يجري على السريركعداء ماهريعرف مضماره حتى رآكِ ووصل إليك.

ألقى بنفسه على السريربكي ويضمك إليه في عناق قلب مشتاق لروحه أوكما تقولان شق روح مشتاق إلى شقه الآخر!!

يقبل جبينك ورأسك معتذرًا إليك طالبًا السماح والعفو.

بكيت كما لم أبكِ من قبل لم أفق سوى على

سؤال الشرطي للطبيب:

"لماذا هي نائمة هكذا؟"

فأجابه:

"ستفيق بعد قليل إنه مفعول الدواء"

أمر الشرطي أحد عساكره بالبقاء معكما وأخذ باقي العساكر ونائب المدير للخارج يحقق معه.

يا إلهي!! لن تضيع ذكرى رؤياكِ لأخيك بعد استيقاظك من ذاكرتي أبدًا.

تفتحت عيناك بلهفة كأنك تعرفين هذا العناق وصاحبه -الذى لم يفلتك من بين يديه حتى أفقت- نظرت إليه بسعادة تشددين من عناقه بيديك قائلة:

"أرجو من الله ألا أفيق من هذا الحلم أبدًا كسابقه"

فأخرجك أخوك بتروٍ من ضمته قائلًا بصوت هامس حنون:

"هذا ليس حلمًا شق روحي.. هذا و اقع"

لكنكِ لم تصدقي وضحكت حتى بدت نواجزك

هاتفة:

"لا شق روحي إنه حلم، بل هو حلم جميل لا أريد له أن ينتهي"

ضمك إليه مرة أخرى يقبل رأسك حتى قاطعكما ضابط الشرطة قائلًا:

"ألا تريدان أن ننهي الأمر وتعودا لبيتكما، هيا تجهزي يا آنسة لتأتيا معنا؛ كي نقوم بعمل المحضر وتدلين بشهادتك وتعودا لبيتكما وأمكما"

هنا رأيت نظراتك المتعجبة.

يا إلهي!!

مهما وصفت لن أستطيع رسم تعبيرات وجهك و أنت تهزين رأسك برفض باكية تهتفين:

"إنه حلم، ليس بحقيقة إنه حلم"

وأخوك ينفي حديثك مثبتًا و اقعكما:

"لا توأمتي إنه و اقعًا"

وقت طويل مضى هكذا و أنت لا تصدقين حتى مضيتما.

بالطبع لم تعلما من صاحبة الحساب المجهول لكن يكفيني أن يعلم الله مَن هي.

لا تقلقي ستمزق هذه الرسالة كأخواتها السابقات لها اللاتي قد نسيتهن قبل ذهابك.

حفظكما الله ونجى كل مظلوم وأخذ ظالمه.

وبـــالطبع لـــن أنهـي الرســـالة بـــ "شـــق روحـــك/ توأمتك"

تلك الدخيلة/

الفضولية.

تمت بحمد الله